الفصل الخامس

من الموصل الى بغداد

١٢ — ٢٣ ايار سنة ١٩١٤

جهينة — تل كابارا وينابيع الكاز — الجـذا — قلعة شركات
او اشور — جبـل حمرين — قشلاق الخزينة —
تكريت — سمرا عاصمة الخلفاء العباسيين
قديماً — بلد — خان مشاهد
كاظم — بغداد

١٢ ايار

شربنا القهوة وترجمان القنصلية الروسية وودعناه شاكرين لالطافه وغيرته ومروءته وتركنا الدار القنصلية الساعة الثامنة صباحاً يتقدمنا دركيان من لدن حكومة الموصل وسلكنا طريق الضفة الغربية من دجلة. وعند الساعة الثانية بعد الظهر كنا في (جهينة) حيث نصبنا الخيام على مقربة من اثار قديمة تعود الى عهد الاشوريين فتناولنا الغذاء ثم تفقدنا تلك الاثار وقضينا ليلتنا هنالك وكان الحر شديداً

١٣ ايار

نهضنا باكراً جداً عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل وركبنا قاصدين الى «تل كابارا» حيث الابار البترولية الكثيره . ونصبنا الخيام على مسافة بعيدة من تلك الابار هرباً من تلك الرائحة التي تبعث منها ليل نهار وبعد الغذاء ذهبنا نتفقد الابار المذكورة

الخيام في جهينة

فصمت آذاننا من قوة غليان البترول وكان عجيجه يتصاعد الينا من جوف الارض ، وبتنا ليلتنا في كايارا وكان الحر شديداً للغاية .

١٤ ايار

سرنا ورجالنا الساعة الخامسة صباحاً وكنا الساعة الثانية مساء امام قلعة « شرقات » او اشور فنصبنا خيامنا في مدينة اشور عاصمة الاشوريين . ونحو الساعة الخامسة كنا في داخل القلعة . وقلعة شرقات كناية عن قلعة فيها آثار قديمة تعود الى عهد اشور عاصمة الاشوريين الاولى . وفي سنة ١٩٠٣ شرع الالمانيون ينقبون ويحفرون في ذاك المكان فتوصلوا الى ازاحة الستار عن المدينة التي ظهرت للعيان بحالتها الهندسية الاصلية بنوع انك لو نظرت الان اليها لعرفت كيف كانت وشاهدت ايضاً قبر سنحاريب الثاني .

وقد اكتشف الالمان قطعاً كثيرة ذات النقش البديع فضلاً عن الحجارة الكريمة التي لا تحصى . وفي جملة ما شاهدنا كتابات متنوعة على حائط من المرمر يعود تاريخها الى عهد الملك سلمانصر الاول . وتدل هذه الكتابات على تاريخ هيكل اشور العظيم او المعبد الاهلي .

الاشوريون

ان الاشوريين — الكلدان القادمين اليوم من ما بين النهرين — بلادهم الاصلية — الى سوريا هم احفاد اولئك الذين جاء على ذكرهم الكتاب المقدس وهم اول

الذين اعتنقوا المسيحية فنشروا تعاليمها حتى توغلت رسلهم في الصين والبلاد النسائية الاخرى فبلغ عدد اتباعهم المئة مليون وكان لهم امبراطوريتهم وعاصمتها نينوى التي قرأنا عنها الشيء الكثير ونحن على مقاعد المدارس . وبعد ظهور الاسلام قتل الكثيرون منهم فاسلم من اسلم وهاجر من امكنه الهجرة الى شمال الموصل وسكنوا جبال حيكارى المنيعة في كردستان الشمالية حتى الحرب العظمى سنة ١٩١٤ متمتعين بادارة لامركزية تامة منذ اكثر من ٢٥٠٠ سنة ولا يدفعون الى السلطان او الذين سطوا على ديارهم قبله سوى خراج سنوي لا يذكر عن طريق زعيمهم الاكبر وبطريركهم مار شمعون بنيامين فتمكنوا على مضي الاجيال من المحافظة على لغتهم الارامية التي تكلم بها السيد المسيح وهو على اعواد الصليب ، وتقاليدهم وعاداتهم ووحدتهم اللامركزية

ولما كان امرهم يهم البلاد الشرقية ، رأينا الفرصة سانحة كي نأتي على نبذة صغيرة من تاريخ هذا الشعب الذي ضحته السياسة بعد خروجه الثالث في مدة لم تتجاوز العشرين سنة تاركين التوسع في تاريخه القديم الى الذين تهمهم الحوادث الجسام في شرقنا هذا

مع اندلاع نيران الحرب العظمى اخذ الذين كانوا يجاورون الاشوريين يشنون الغارات عليهم بقصد القتل والسلب بتحريض موظفي الدولة العثمانية غير الاتراك حتى كانت مذابح منطقتي كاوار والباق فانذر مار بنيامين شمعون عم البطريرك الحالي (قتل اغتيالاً سنة ١٩١٨) الباب العالي بسوء العاقبة ولكن انهماك الدولة في المراسح الحربية الاخرى في ذلك الوقت عجزت عن ايقاف التعديات وبدلاً من ان تعطف على هذا الشعب وتقوم بواجباتها نحو رعاياها الامنين حجزت على هرمز اخو مار شمعون البطريرك الذي كان يتلقى دروسه في الاستانة عند نشوب الحرب وابقته عندها كرهينة وانذرت البطريرك بشنقه حالة قبوله يد الحلفا وخوض الحرب بجانبهم فكان جواب البطريرك هذا « ليكن اخي وهو واحد قرباناً لشعبي لا ان يكون شعبي قرباناً له » فنفذت الحكومة وعيدها بهرمز ومن تلك الساعة اعلن الاشوريون الحرب على تركيا وكان عددهم المئة وخمسون الفاً بما فيهم الشيوخ والاطفال والنساء فاشتركوا في اثنتي عشرة معركة مع الاتراك والاكراد عدة اشهر وبعد ان نفدت مؤونتهم واتت خراطيشهم الى نهايتها اضطر الشعب بكامله ان ينسحب الى البلاد الايرانية تحت قيادة مار شمعون والاغا

بطرس البازي وغيرهما وهناك احتل اورميا في منطقة ازربيجان وبقي فيها ما يقارب السنتين بعد ان مدتهم الدولة الروسية القيصرية بلوازم الحرب وكانت الاتراك والاكراد يغورون عليهم من وقت لاخر فيصدهم هذا الشعب الصغير الباسل بما اشتهر به من قوة الثبات وتحمل المشاق حتى اندلعت الثورة الحمراء في روسيا فاضطر الجيش الروسي الذي كان يساعد الاشوريين الى الانسحاب من البلاد الايرانية الى بلاده وكانت ايران على الحياد

لم يحارب الاشوريون — الكلدان الى جانب الحلفاء قبل ان تعدهم روسيا باستقلالهم بعد الحرب ففي اورميا قبل الثورة الروسية باشهر عقد اجتماعاً سياسياً ، حربياً هاماً حضره بازيل نيكيتين قنصل روسيا في ايران سابقاً والموجود حالياً في باريس والكابتين كريسي من ضباط الانكليز (وهو اليوم حي يرزق في لندن) الذي اوفدته حكومته خصيصاً لتأييد وعد روسيا السابق باستقلال الاشوريين ثم اوفدت الضابط الطيار بنكتن لنفس الغرض فوعدهم بالمساعدات اللازمة والمعدات الحربية ولاسباب شتى لم تصل المساعدات الموعود بها في الوقت اللازم فاضطر الشعب الاشوري ان يخلي اورميا ويلتحق بطلائع الجيش الانكليزي التي كانت تنتظره في سين قلعة من اعمال ايران وبعد مفاجئات كثيرة انسحب الاشوريون الى العراق تحت حماية الراية الانكليزية

وقد بلغت خسائرهم في الارواح تسعين الفاً ما عدا الاشوريين الذين كانوا في المناطق الاخرى فلم يبق منهم سوى اربعين الفاً من اتباع مار شمعون . ففي العراق الف الانكليز منهم جيشاً بلغ بعض الاوقات الى الخمسة آلاف فخدموا الدولة العراقية باخلاص ودافعوا عن حدود العراق الشمالية وصانوا مملكة الملك فيصل من غزوات الاتراك والاكراد ومن دسائس العرب انفسهم وقمعوا الثورات الداخلية التي كانت ترمي الى قلب الحكومة العراقية . وعندما طالب الاتراك بضم ولاية الموصل التي تنقسم ادارياً الى اربعة الوية الموصل وكركوك واربيل والسليمانية بما فيها من النفط . اندفع الاشوريون للمحافظة على البلاد العراقية في الوقت الذي كان فيه الجيش العراقي في المهد فلم يشترك في صيانة حدود ولاية الموصل وصد غزوات الاتراك وقمع الثورات الداخلية

طالبت تركيا سنة ١٩٢٥ بضم ولاية الموصل الى املاكها مدعية ان الجيش الانكليزي لم يدخلها الا بعد اعلان الهدنة فاحيل النزاع الى عصبة الامم فاوفدت هذه

بدورها لجنة للتحقيق تحت رئاسة الكونت تلكي • ضم تقرير اللجنة الاممية توصيات شتى لحل النزاع وكانت احداها وجوب اعادة السلامركزية الاشورية كالتي كانوا يتمتعون بها الى ايام الحرب

دخلت العراق عصبة الامم في ٣ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ وبعد مضي تسعة اشهر حصلت مذابح الاشوريين وسلبت اموالهم واراضيهم فبلغت خسائرهم المادية من نقود واموال منقولة الى ١٣٦٦٤٦ ليرة انكليزية ، ومن الارواح ثلاثة آلاف اكثريتها شيوخ ونساء واطفال • وكانت الطيارات البريطانية قد القت المناشير على الاشوريين تدعوهم بها الى القاء سلاحهم والاستسلام الى الجيش العراقي وبعد ان عملوا بنصيحتها حصلت المذابح •

يوسف ملك

والسيد يوسف ملك كان يشغل وظيفة رئيس القسم السري في المفتشية الادارية في الادارة الملكية في العراق مدة ١٣ سنة الذي كان في اثنائها مثال الموظف النشيط الصادق ، ولكنه عندما رأى الحيف يلحق بابناء جلدته استقال من تلقاء نفسه واشترك في الدفاع عن حقوقهم فاصدر وزير الداخلية العراقية الامر بالقاء القبض عليه في شهر ايار سنة ١٩٣١ فاضطر الى مغادرة بلاده لمواصلة الدفاع في قضية الاشوريين ، وعندما نفي مار شمعون من العراق يوم ١٨ آب سنة ١٩٣٣ الى قبرص التحق السيد ملك به في ٢٦ آب من السنة نفسها ثم ابحر سويةً من قبرص في ٢٨ ايلول من السنة نفسها الى جنيف فوصلاها في ٤ ت ١ سنة ١٩٣٣ وكان السيد يوسف ملك امين سر البطريرك الفخري لسنتي ٣٣ — ١٩٣٤ وهو اليوم في الشرق الذي عاد اليه بعد ان تقرر مصير الاشوريين الذين عرفنا منهم الاديب والمثقف والوجيه في سوريا والبلاد المجاورة ونخص بالذكر منهم الشاب النشيط الذي يتقد غيرة على ابناء امته بدون استثناء السيد مرقص عيسى الكربوراني

واكتشف الالمان ايضاً بقايا القصر الباتياني على سطح ارض سهلية • ويقوم القصر هذا على صفين من حجارة منقوشة بمتنوع الكتابات • ويبلغ علو احد الصفين احدعشر قدماً ونصف القدم وهو قطعة واحدة فقط كتبت عليها اسماء ملوك الاشوريين من اولهم الى آخرهم • وقد كتبت على الصف الاخر اسماء الحكام وذوي المقامات العالية الذين

عاصروا اولئك الملوك

وبعد ان تفقدنا القلعة عدنا الى الخيام نتعشى . وفي اثناء الاكل التفت الي السائح وقال : لا بد من قضاء سهرتنا هذه عند احد سكان هذه المحلة . فقلت : ليكن ما شئت وذهبنا الى بيت قائم على مقربة من خيامنا فاستقبلنا صاحبه بكل هشاشة واجلسنا على حجرين مركزين عند مدخل البيت . وهذه عادة فلاحي تلك النواحي . ثم اوعز الي السائح ان اسأل الرجل عن اسمه وطائفته وعن كل ما يهمنا الاطلاع عليه

فقلت لصاحب البيت : ما اسمك وما هي طائفتك ؟

البيت في آشور

قال : اسمي عامر . وانا مسلم اوحد الله قلت : وهل انتم مسرورون باقامتكم في هذه المحلة ؟ قال : لولا اعتداآت العربان علينا لكنا بالف خير

قلت : اما شكوتم امركم للحكومة ؟

قال : لا نستطيع الى الشكوى سبيلاً لان العربان يحرقون منازلنا وينهبونها قبل ان تهتم الحكومة بامرنا وكثيراً ما يقدم اولئك القوم على التعدي على عرضنا وشرفنا . فنلافيا لكل ذلك نضطر الى ارضائهم

قلت : كيف وبم ترضونهم ؟ قال : نقدم لهم سنوياً بعض المال الذي تعطيه ارضنا ومواشينا

قلت : ولمن هذه المحلة ؟ أهي للاغنياء ام للفلاحين ؟ قال : انها للفلاحين ولو كانت

لغيرنا لهجرناها من عهد طويل

قلت : ألا يسعكم بيعها ؟ قال : ليس من مشتر على الاطلاق . ومن يرغب في مجاورة العربان ؟ فان وجودهم في الجزيرة كان داعياً لهبوط اثمان الاراضي الى ادنى درجة .. ولا يخفى عليكم ان كثير من الاملاك في الجزيرة تحت رحمة القبائل لانه ليس من يطيق مجاورتهم طويلاً

قلت : او لم تجرب الدولة ان تضع حداً لهذه الاعتداءات ؟ قال : ان الدولة تراعي دائماً جانب العربان

قلت : وهل يعامل العربان غيركم معاملتكم ؟ قال : انهم يعاملون المسلمين جميعاً هذه المعاملة .

قلت : و كيف يعاملون المسيحيين ؟ قال انهم يعاملونهم معاملة الارقاء وهم يجبرونهم على حراثة الاراضي بدون بدل مكتفين باطعامهم من غلاتها ، وهذه حالة المسيحيين المقيمين على الضفة الغربية . اما العائشون منهم على الضفة الشرقية فعندهم البكاوات

قلت : ومن تعني بالبكاوات؟

قال : الاكراد ، وهؤلاء يعاملون المسيحيين معاملة اسوأ من معاملة العربان وكثيراً ما يستبيحون العرض والشرف بخلاف العربان الذين لا يقدمون على شيء من ذلك الا عند الضرورة

ودعنا ذلك الفلاح وعدنا الى خيامنا وكان الحر شديداً لا يطاق فاخرجنا الامرة كي ننام في الفضاء ولكن البرغش والبعوض والبراغيث كانت علينا اشد وطأة من الحر وفي منتصف الليل سمعنا عويلاً على اثره اجتمع سكان القرية كلهم رجالاً ونساء .

صاحب البيت في آشور

فسألنا عن سبب ذلك فقيل لنا ان هناك فتاة جميلة جداً وهي ابنة احد افراد القرية يشتغل كوكيلاً على فعلة الحفريات من قبل المهندسين الالمان (الخواجات) فصدف ان هذه الابنة كانت تخدم الخواجات في محل سكنهم الخدمة البيتية فكانت تقضي النهار كله بخدمتهم فكانوا يكرمونها ويحبونها كثيراً وبواسطتها ربح والدها ارباحاً طائلة . فتشوا على الفتاة في تلك الليلة فلم يجدوها فاستغاث والدها باهالي قريته ليفتشوا معه عليها . سألوا عنها عند جميع اقاربها فلم يقفوا لها على اثر مع ان والدها تركها نائمة قبل نومه ، ويظهر انها خرجت من البيت ليلاً

قلت : لجارنا عامر ماذا تعتقد الى اين ذهبت ؟ قال : لا اعلم ها اني ذاهب الى ابيها وبعد رجوعي اخبركم بالذي اعرفه ، ذهب هو الى بيت ابيها حيث كان الجمع كله وبعد ربع ساعة عاد الينا

قلت : وماذا عرفت ياعامر ؟ قال : ان اباها يعتقد انها خطفت وان الخاطف احد الشبان لان الابنة جميلة وخفيفة وذكية جداً

قلت : وهل يوجد سابق علاقة لها مع احد الشبان ؟ قال : ان اباها يقول انه لا يعلم ان لها علاقة مع احد لكنه يفترض ذلك

قال السائح : وهل يوجد احد من الالمان في هذا البيت ؟ قال عامر : كلا . كان فيه الخواجات الصغار سافروا اليوم بعد ان قفلوا كل شيء وسلموا المفاتيح والبيت لوالد الابنة المفقودة

قال السائح : لربما وقعت الابنة بحب احد الالمان واتفقت معه على الذهاب الى المانيا هل احدهم يعرف اللغة العربية ؟ قال عامر : ان الاثنين يعرفان العربية جيداً فكرك قريب اني ذاهب لانبه اباها الى هذه الفكرة

وذهب الى ابيها ونحن ضحكنا وبقينا ننتظر الخبر ثم عاد والرجل يقول ان اباها اشتبه بذلك وقد ارسل اخويها الى الكلك الذي سافروا فيه الخواجات والكلك واقف الآن على بعد نصف ساعة من هنا حيث لا يمكنه السفر ليلاً

١٥ ايار

نهضنا باكراً نتأهب للرحيل ، فتناولنا القهوة والحليب وعندها سألني رفيقي السائح .

ماذا جرى بالفتاة ؟ قلت : فلنسأل

فسألت صاحبنا عامر قائلاً : هل وجدوا الفتاة ؟

قال : نعم وجدوها في الكلك مع الالمان ورفضت ان تعود وذهب والدها ايضاً الى الكلك في الليل الماضي وحاول اقناعها بالرجوع وساعده على ذلك الخواجات ولكن هي رفضت الرجوع بتاتاً مدعية انها ترغب بالذهاب الى المانيا لتتعلم باحدى مدارسها وسافر الكلك والفتاة عليه

ركبنا جيادنا ومعنا رجالنا وكل امتعتنا وسرنا على بركات الله . وحوالي الساعة الثانية مساء كنا في سفح جبل «حمرين» وهو محل مخيف بعيد عن كل حياة اما المنظر في تلك البقعة فجميل جداً في ضوء القمر

نصبنا الخيام واكلنا ثم استرحنا وبتنا ليلتنا في ذاك المكان المنفرد

١٦ ايار

غادرنا سفح الجبل في سفح جبل « حمرين »

حوالي الساعة السابعة صباحاً فكنا عند الساعة الثامنة مساء ، امام « قشلاق الخزينة» فنصبنا الخيام على مقربة من القشلاق واكلنا واسترحنا قليلاً ثم زرنا جامعاً قديماً كان على بعض المسافة من خيامنا فلم نشاهد في ذاك الجامع ما يستحق الذكر سوى بعض النقوش الجميلة المختلفة على جدرانه الاربعة وعلى نوافذه الصغيرة . وصرفنا ليلتنا في مضاربنا

١٧ ايار

غادرنا القشلاق عند الساعة التاسعة صباحاً وجهتنا تكريت فانتهينا اليها بعد مسير سبع ساعات فنصبنا الخيام في خارج المدينة الى جانب آثارها العديدة وقد تفقدناها في ذلك المساء لكننا لم نستطع مشاهدة جميعها .

وتكريت هذه بلدة فيها ما يناهز خمسة آلاف نسمة لها سوقها حيث يجد الغريب كل ما يحتاج اليه من لوازم المعيشة وقد فرح رجال الحملة كثيراً بوصولنا الى تكريت فذهب العشي واتى بخروف ذبحه وقال هذه الليلة العشا عربي فيّ ومشوي وقضينا ليلتنا في الخيام مسرورين

١٨ ايار

صممنا على صرف نهارنا في تكريت نزورها ونجوبها ونرتاح فيها من مشاق السفر، وحوالي الساعة العاشرة صباحاً دخلنا البلدة واخذنا نطوف فيها ، وادى بنا المسير الى محل صغير ضم اليه جمهوراً من الاهالي فاستفهمنا عن هذا المكان فقيل لنا انه قهوة يجتمع فيها بعض البطالين ويصرفون الوقت . فمن باب الفضول احببنا ان نزور تلك القهوة فقدم لنا صاحبها المقاعد واذا بنا في وسط انيف من الناس لا يقلون عن العشرين وكان بعضهم يشرب القهوة وبعضهم يتناول المبردات وهلم جراً ، اما نحن فتناولنا قهوة عربية وانصرفنا عائدين الى خيامنا وكان الظهر قد حان ، وبعد الغداء والاستراحة القليلة ذهبنا نتفقد بقية الآثار

١٩ ايار

غادرنا تكريت عند الساعة الخامسة صباحاً وكنا عند الظهر في مكان ظليل فجلسنا هنالك نرتاح ونأكل ثم استأنفنا السفر تحت سماء محرقة سالكين طريقاً وعراً فانتهينا الى سامرا اصلها (سر من رأى) حوالي الساعة الخامسة مساء وكان السفر قد اعيانا والحر قد اضنكنا فرقدنا بعد ان أكلنا خفيفاً

٢٠ ايار

صرفنا نهارنا في سامرا نتفقد ما فيها ، وهي مركز قائمقامية وموقعها الحالي موقع

سامرا القديمة العاصمة الثانية للخلفاء العباسيين من سنة ٨٣٦ الى سنة ٨٧٦ ، ومدخل المدينة الحالية على قمة مرتفعة والى جانبها مسجد للشيعيين تعلوه قبة جميلة ومأذنتان بديعتان شكلاً وهندسة

وخرجنا صباحاً نزور الآثار القديمة القائمة على ضفتي دجله فلفت نظرنا الجامع العظيم المعروف بالعواميدي لانه قائم على اعمدة وفي اعلاه المنارة الملوية لانها ملوية البناء . ولا تزال الى الان آثار قصرين من قصور الخلفاء . ومن الآثار ذهبنا الى داخل المدينة فابصرنا عدداً من الحوانيت والخانات في جهتها الغربية وساحات فسيحة فيها عربات النقل تجرها الخيل . والى جانب الضفة باخرة صغيرة تنقل الركاب بين سامرا وبغداد . وعدنا عند الظهر نتغدى ونأخذ قسطنا من الراحة . وحوالي الساعة الرابعة مساء استأجرنا الباخرة الصغيرة وتنزهنا في النهر نحواً من ساعتين ثم عدنا الى الخيام

القفة في دجلة

٢١ ايار

خرجنا من سامرا الساعة الخامسة فوصلنا عند الظهر الى نقطة تبتدىء فيها اشجار البلح الجميلة والكثيرة . فترجلنا للغداء والاستراحة . وقد شاء السائح ان نصرف الليلة في تلك النقطة فنصبنا الخيام هنالك حيث بتنا ليلتنا مرتاحين

٢٢ ايار

غادرنا نقطتنا باكراً جداً وكنا نسير في وسط البلح وهو يظلل طريقنا . وتناولنا طعامنا عند الظهر . ثم استأنفنا السير فكنا عند الساعة السادسة مساء في خان المشاهدة وهو نقطة عسكرية فبتنا هنالك حيث قاسينا من الحر ما انسانا كل حر سابق

٢٣ ايار

تركنا ذلك المكان غير آسفين على حره الشديد المزعج فوصلنا الى كاظم حوالي الساعة الثانية عشرة . فتغدينا واسترحنا ثم تابعنا السفر فانتهينا الى بغداد حوالي الساعة الثانية مساء فنصبنا الخيام على ضفة دجلة الغربية

كتاب

خيانة الكلدان الاشوريين

الموَلفه السيد يوسف ملك الاشوري الكلداني الذي رافق بتحرياته الدقيقة القضية الاشورية — الكلدانية منذ بدايتها حتى المذابح الاخيرة

كتاب سياسي تاريخي قيم حاويا على حقائق تؤيدها الوثائق الرسمية السرية التي لم تنشر قبلاً .

يباع هذا السفر الصارخ في مكتبة ستيانسكي — جادة الافرنسيين صندوقة البريد ٩٩٢ بيروت